

## مقدمة المترجم

في إحدى الأمسيات القاهرية الدافئة قرابة غروب العام 2005، نَظَّم أحد الأصدقاء صالوناً ثقافياً عقب الحادثة المعروفة لنشر الصور المسيئة للرسول ﷺ في الدنمارك. دعا المنظمون د. حسن الشافعي الأزهري، العالم المتكلم وعضو هيئة كبار العلماء، والمعروف بعلمه وخلقه وكتبه ومواقفه، لإلقاء كلمة في هذا الملتقى. ما سمعته في تلك الجلسة، والتي جاء حضوري فيها صدفة على غير ترتيب، هالني. فبعد سؤال عام للدكتور الشافعي عن رأيه في الأحداث الحالية آنذاك، أجاب متبّعاً الأدب النبوي بعدم التصريح بأحداث الإساءة، إلى درجة جعلت البعض يتساءل عما يتحدث، إذ كان ينزّه الجنب النبوي عن التصريح بالإساءة. بعد ذلك، وضمن محاضرة أجملت خصائص الفكر الإسلامي وطريقة تعامله مع السياق الحاضر، قال الشافعي إن السؤال المركزي في تاريخ الفكر الإسلامي هو سؤال الآخر، وكيف نشبتك معه، وماذا وكيف نستفيد منه. تكرر استحضاري لهذا التصريح خلال تفكري في أفضل أسلوب لترجمة هذا العمل، بسبب أهمية الكتاب في هذا المبحث، كذلك فقد كان الكتاب نفسه وتموضع كاتبه ومنحاه أثراً في أهمية المقاربة الترجمية. كيف لا وهو من الأهمية بمكان لاشتباكه المهم مع تفاعل الفقه الإسلامي والحدثة في التاريخ الحديث، وتعمق ورؤية مركبة. قِيم عرضٌ أكاديميُّ الكتابَ على أنه باهر و«يعود الفضل الكبير لقادري في أن أي شخص مهتم بأي جانب من جوانب الإسلام خلال القرنين الماضيين سيجد شيئاً

مثيرًا للتفكير في هذا الكتاب»<sup>(1)</sup>. كما قال آخر إن من بين جميع الكتب التي قرأت، ينتمي الكتاب الذي بين يدينا إلى نسبة الـ 1% الأهم بين كتب الدراسات الإسلامية الأكاديمية<sup>(2)</sup>.

يحفر الكتاب في تحليل شخصية مفتي الديار المصرية محمد بخيت بن حسين المطيعي الحنفي (1271هـ/1854م-1354هـ/1935م) المركبة، وإنتاجه العلمي الفكري الحافل، ومناحيه المعرفية القائمة على وعي ذاتي معين متأثر بالعالم الفارق في موازين القوى بين الإسلام والغرب وفي لحظة فارقة من هذه العلاقة. الشيخ المطيعي، يتداخل ويتفاعل فيها التراث المذهبي والاجتهاد الحدائثي بامتياز، وتاريخ وفلسفة العلم التجريبي، ومعنى وآليات عمل التراث، مؤكدًا على أصالة تخفي تحت عباءتها - وفق ما يؤكد هذا العمل باقتدار- تحولًا وانقطاعًا عميقين للوصول إلى توفيق ما، وهذا رغم كونه في الوقت ذاته أحد ألد أعداء الإصلاحيين الحدائثيين في زمانه.

قبل الكثير حول الترجمة وماهيتها، من كونها فنًا، علمًا، أمانة أو خيانة، أو عولمة للنص (خوسي سارامجو) أو إبداعًا لتنقية أو تحرير اللغة المأسورة تحت سطوة النص الأصلي (والتر بنيامين)، أو تطورًا واستكمالًا (دريدا)، وغير ذلك. إلا أن ما أراه هو أنها في تجليها الأسمى قدرة غائبة ومحسوبة على التخفي لإظهار المترجم بكل جوانبه، وذلك بالتدرج والتنوع بين التكتيف والتلطيف، والسيولة والصلابة، اللغوية والمفاهيمية. حاولت أيضًا، ألا أترك اللغة معتمدة من كل جمال وفصاحة، كما هو الحال أيضًا مع النص الأصلي.

وعليه، فإن منحى الترجمة الذي اتخذته تضمن التالي:

أولاً، الحفاظ على روح صوت المؤلف ونبرته الفريدة. رغم أن هذا بدهي، لكن

---

(1) العرض لبرانان دي. إنجرام، الأستاذ المساعد بجامعة نورث وسترن، أُطلع عليه في ديسمبر 2022:  
<https://readingreligion.org/9780190077044/transformations-of-tradition/>

(2) أُطلع عليه في ديسمبر 2022:  
<https://www.youtube.com/watch?v=bt4BgaUiajQ>

تزداد أهمية هذا النهج، بالنظر إلى القدرة الملحوظة للمؤلف على الاشتباك مع النظريات النقدية (ماكتاير، طلال أسد، هومي بهابها، شادن تاج الدين، بين آخرين) وتسهيلها، بل وتسهيل لغة التعامل معها. ولعل هذه الميزة هي الأهم للقارئ العربي. هذا الاشتباك جرى ليس فقط بشكل متعمق ولكن أيضاً، استخدمه لتعميق وتجليّة الحجج المقدمة والتحليل، وليس فقط للاشتباك النظري البحث. أزعّم أن اللغة العربية تساير الأصل في هذا المضمار. ثانياً، عكس جمع الكتاب بين خطاب أكاديمي متقن، من ناحية، ومصطلحات ونصوص والخطاب فقهي التراثي، مع الوضع في الاعتبار أن النصوص والمصطلحات الفقهية المترجمة إلى الإنجليزية ترجمت بلغة عصرية. يجب التوقف هنا لأن هذا لن يكون الحال مع النص العربي، فبالرجوع إلى المصطلحات الأصلية، مثلاً، وضمن تعامل الكتاب مع فتوى المطيعي حول رؤية الهلال، يترجم النص الأصلي وبشكل صحيح مصطلح «المطلع» إلى «الأفق» (horizon). بالطبع يختلف الأمر عند تعريب هذا المصطلح واستخدام المصطلح الفقهي الأصلي، والذي ليس بنفس الشبوع بين جمهور القراء العرب المعاصرين المستهدف، لذا استوجبت حالات كهذه بعض التطويع. وقد حاولت هنا تيسير الانتقال بين الخطابين بحيث لا يصعب الأمر على القارئ غير المشتغل بالفقه.

ثالثاً، الاعتماد على ترجمات عربية حديثة للكتب المقتبس منها (وعلى رأسها ترجمات أعمال طلال أسد، ووائل حلاق، وتيموثي ميتشل) والاقتباس المباشر منها، وذلك لتدعيم شبكات العمل الترجمي والتشبيك بينها، ولدفع الخطاب العربي في هذه الحقول.

في النهاية أرجو أن يُستفاد من هذا العمل وينال ما يستحقه من المناقشة والتأثير، كما أشكر المؤلف الذي راجع الترجمة وأثرها، وأشكر أيضاً جميع المحررين والعاملين بدار نماء.

طارق غانم،

ديسمبر 2022

لايدن، هولندا